Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على كتابه يتذوق طعم النحو وشيكا، ثم لا يلبث أن يصيب منه ملكة تصير له كالغريزة ويصبح معها يسنّ فى النحو ويقطع.

وطريقة ابن هشام فى كتبه ـ ولاسيما المغنى ـ هى الطريقة المثلى، بل المثل الأعلى الذى سار عليه وهدف إليه من جاء بعده بأمد بعيد، واقتفى أثره بعض المعاصرين [١] فأسعفوا الناشئين فى الناحية التطبيقية بما جلا عن النحو ما تراكم عليه وشوه من جماله من صدأ الحواشى والتقارير التى أوغل فى حشوها بالمصطلحات العلمية من تنكّب طريقة ابن هشام، والتى لا تلائم إلا من قطع مرحلة كبيرة فى دراسة هذا العلم.

أما الطالب الناشىء فإنه يضلّ فى بيدها ويملّ تحصيلها.

فلهذا الإمام فضل تصفية النحو وتنقيته، وتبسيطه وتسهيله، وجعله فنًا يستهوى الناظر فيه، ويأخذ بيده إلى حيث يفقهه وينبغ فيه ويحاكيه، ولم يعد جادة الصواب من حكم بأن «المغنى» أحيا ثلث النحو، والثلث كثير إذا كان مرتبطًا بالناحية الفنية.

فكتب ابن هشام وفى طليعتها «المغنى» من النحو كالعلاج فى الطب والخطابة فى الأدب والمثقف بها كالطبيب المداوى، والخطيب المدوّى، ـ وسواها إلا قليلا من كتب سابقيه ومعاصريه ولاحقيه ـ تعوزه فصاحة العبارة، ويزهد فيها ما اشتملت عليه من تعقيد وما غصّت به الشروح والحواشى والتقارير من اصطلاحات لا يمسها الاستطراد من قريب وإنما يتمحل لها المؤلفون، ويتلمسون لها الأسباب، إظهارًا لما تكنه صدورهم فى تلك المواد، ومثل ذلك ما كلفوا به فى مقدمات كتبهم من تقديم الكلم عن مواضعه، وهذا من شأنه أن يشوش على الناشىء ويجعل ذهنه كليلاً، وفهمه للمقصود عليلاً.

إن جل الكتب نأى بها ما جللت به عن أن يستفيد منها الفائدة التامة المرجوة أولئك الناشئون، وكاد يجعلها ما علق بها وقفًا على طبقات خاصة هى التى قطعت مراحل فى العلم وهؤلاء لا يشفون غليلهم منها ولا يحسنون الحديث

(١) أمثال الأساتذة الأعلام «أحمد بك يوسف نجاتى، وعلى بك الجارم» وأولهما أطول باعًا وأبعد مدى وأكثر شبهًا بابن هشام فى كتابه: التطبيقات العربية.